دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلّد 37، العدد 1، 2010

بلاغة الأسلوب القرآني في استعمال (إذ) بدل (إذا) و(إذا) بدل (إذ) دراسة تطبيقية

*سليمان محمد الدقور**

ملخـص

يقدم هذا البحث صورة من صور بلاغة القرآن وبديع نظمه، حيث يوقفنا على ظاهرة من ظواهر هذا الأسلوب، بدراسة الاستعمال القرآني للحرفين (إذ) و(إذا) في صورة من صور استعمالهما، ومعنى من معانيهما، وذلك في استعمال القرآن (إذ) بدل (إذا) والعكس.

ومن ثم الوقوف مع الآيات القرآنية التي قيل فيها بهذا الاستعمال، ودراستها دراسة تطبيقية، كاشفة عن دلالات هذا الاستعمال وآثاره البلاغية والتربوية.

وقد كشف هذا البحث عن جملة من الحقائق والمعاني الإيمانية والتربوية والنفسية لهذا الاستعمال، كان من الحري الوقوف عندها وتجليتها بصورة علمية دقيقة.

الكلمـات الدالـة: أسلوب القرآن، بلاغة القرآن، حروف المعاني.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الحبيب الأمين، قائد المجاهدين، عليه وعلى آله وأتباعه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وبعد،،

كثيراً ما كان يوقفني الأسلوب القرآني الكريم في كثير من قضاياه، وكنت أتلمس في مواطن كثيرة جمال هذا الأسلوب وأسراره، وأبحث في كتب التفسير عما تجليه من جمال وإبداع في هذا الأسلوب، فكانت تسعفني كثيراً، وأحار أحياناً من كثرة الأقوال وتعدد الآراء.

وفي أثناء دراستي لكتب اللغة، وتحديداً في حديثها عن حروف المعاني، كنت ألحظ مدى حرص أصحابها على الاستدلال بالآيات القرآنية وجعلها شواهد على المعاني التي يذكرونها لهذه الأحرف.

وقد استوقفني في جمال أسلوب القرآن استعماله لبعض الأحرف في مواقع أحرف أخرى، من ذلك استعمال (إذ) موقع (إذا) و(إذا) موقع (إذ). لست أقصد القول بتناوب الحروف كما كان الحال مما ذكره بعض العلماء فيما يخص أحرف الجر أو غيرها، وإنما أقصد هنا دلالة السياق والنظم مع مقتضيات استعمال الحرف في أصل اللغة. وكنت لا أشك أن ثم حكمة وراء ذلك.

وقد وجدت الفرصة سانحة لي الآن لأبحث في جانب من هذه الجوانب التي لطالما تاقت نفسي إليه، فكان هذا البحث تحت عنوان (بلاغة الأسلوب القرآني في استعمال (إذ) موقع (إذا) و(إذا) موقع إذ، (دراسة تطبيقية).

وتظهر مشكلة البحث من الجوانب التالية:

1- ضعف العناية بهذه الظاهرة القرآنية.
2- غياب العناية بتجميعها في سياق بحثي منهجي مستقل.
3- غياب نوع هذه الدراسة التطبيقية عن مثل هذا الأسلوب القرآني بشكل تفصيلي.

وقد قمت في بحثي بدراسة هذا الأسلوب في كتب اللغة، ثم موقف المفسرين، وبعد ذلك جمعت الآيات الكريمة التي جاءت على هذا الأسلوب وقمت بدراستها دراسة تطبيقية من خلال كتب التفسير وآراء المفسرين... وقد جعلته في تمهيد ومبحثين وخاتمة.

وقد كانت هناك مجموعة من النتائج والملحوظات التي خرجت بها من هذا البحث، لكن أهمها كان ضرورة دراسة هذه الأحرف دراسة استقصائية تطبيقية سواء في مجال القرآن الكريم- فهي توقفنا على جانب هام من جوانب إعجازه- أم الحديث الشريف أم الشعر.

---

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
تاريخ استلام البحث 2007/12/9، وتاريخ قبوله 2009/4/30.

© 2010 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تمهيد

إذا تجول الدارس في أي من (كتب حروف المعاني) فإنه يجد حديث العلماء عن هذه الحروف متشابهاً في كثير منه، بل إنك تجد العبارة أحياناً هي العبارة... والمثال هو المثال والشاهد أو الدليل هو الشاهد أو الدليل.

والدارس لهذه الكتب يجد بين أصحابها اختلافاً في بعض القضايا التفصيلية التي تناولها تحت كبريات هذه العناوين والمضامين، إلا أن هذا لا يعني أبداً ولا بوجه من الوجوه أن دراسة هذه الحروف قد انتهت أو اكتملت.

بل في اعتقادي أننا يجب أن ننظر إليها من جانبين:

الجانب الأول: وهو جانب الدراسة النظرية أو التقعيدية التي تناول العلماء من خلالها هذه الحروف وذكروا معانيها والأنواع أو الأوجه التي تأتي عليها. وفي اعتقادي أن هذه الدراسة قد نضجت واكتملت. وما تحتاجه لا يتعدى التحقيق والتنقيح.

الجانب الثاني: أما هذا الجانب، وهو أن نتناول هذه الأحرف بالدراسة التطبيقية، سواء أكان ذلك في مجال القرآن الكريم أم في مجال الحديث الشريف أم الشعر العربي وكلام العرب... فإنها دراسة لم تكتمل بعد، بل إنها لا زالت– في بعض الجوانب- في طريق البدايات...

ويكاد يكون كتاب الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) أول كتاب يقوم بهذه الدراسة الموسوعية الاستقصائية. وقد كان المجال الذي حصر فيه الدراسة هو مجال (أسلوب القرآن الكريم) وأعظم به من مجال! وكان عمله أقرب إلى الدراسة المعجمية منه إلى الدراسة التطبيقية التي تقوم على تحديد الظواهر والمشكلات ثم تحليلها وحلها...

وهناك كتاب آخر هو (الأدوات النحوية في كتب التفسير) للدكتور محمد أحمد الصغير، اهتم فيه كثيراً بمواقف المفسرين تباينا أو اتفاقاً حول استعمال القرآن الكريم للأدوات النحوية ودلالات ذلك، ودراسته تقوم على الجمع والاستقصاء والتحليل، لكنها بقيت مأسورة لأقوال المفسرين دون الإفادة من ذلك بتحديد ظواهر عامة وخاصة في الاستعمال القرآني لهذه الحروف ودلالات ذلك.

وإني أعلم مدى صعوبة ومشقة مثل هذه الدراسات التي أتحدث عنها والتي لا تقوم بها إلا همم العلماء الأفذاذ... ولكنني أزاحم عند الأقدام.

هذا، وإن بحثي هذا يقع في سياق الجانب الثاني الذي ذكرته آنفاً معتمداً فيه على الله تعالى في دراسة جانب محدد مما تختص به هذه الحروف مطبقاً ذلك على حرفين اثنين هما (إذ) و(إذا) في بعض استعمالاتهما.

المبحث الأول
الدراسة النظرية

المطلب الأول: (إذ)/ (إذا) عند اللغويين

كثر حديث العلماء في دراستهم لحروف المعاني عن (إذ) و(إذا) وذلك من جوانب ثلاثة:

الأول: المعاني التي تأتي عليها.

الثاني: الإعراب لها حسب موقعها وإعراب ما بعدها.

الثالث: الشواهد القرآنية المتعلقة بها.

وأنا هنا سوف لا أتحدث عن هذين الحرفين في كل معانيهما أو ما يتعلق بهما وذلك من القضايا المسجلة – لمن يريد- في الكتب المختصة بذلك، وإنما سوف أقصر حديثي عن جانب واحد من الجوانب التي اختص بها كل حرف منهما.

وهذا الجانب يؤكده العلماء ويذكرونه في باب واحد من هذين الحرفين.

فإذا تحدثوا عن (إذ) ذكروا لها من معانيها أنها تأتي للاستقبال بمعنى (إذا)، وإذا تحدثوا عن (إذا) ذكروا لها من معانيها أنها تأتي للماضي بمعنى (إذ)، والسمين الحلبي[1] يقرر هذا الأسلوب لكنه يمنع أن تتناوب هذه الحروف فلا تكون لها رسالة.

وهذا هو ما سيكون موضوع دراستي هذه إن شاء الله تعالى.

وحديثي في هذا الباب اقتصر فيه على أهم كتب وأقوال العلماء الذين تحدثوا في هذه الحروف.

وعندما جمعت أهم الكتب في هذا المقام ونظرت في أقوال أصحابها، وجدت شيئاً حرياً بالذكر، وهو أن هذه الكتب في معظمها قد اعتمدت كلياً على كتاب واحد وهو كتاب (رصف المباني في حروف المعاني، لأبي جعفر المالقي[2] ت 702هـ) وهو من أول الكتب التي وصلتنا في هذا الموضوع.

فلو نظرنا من بعده لوجدنا كتاب (الجنى الداني في حروف المعاني، لأبي علي المرادي[3] ت 749هـ)، وقد نقل نصوصاً بأكملها عن رصف المباني، ومن نقولاته هذه ما ذكره في حرف (إذا)..

وبعد المرادي نقف مع ابن هشام (ت 761 هـ) في كتابه (مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب).

نقف معه لنجد أنه نقل الجنى الداني بنصه إلى كتابه

المغني دون أن يشير ولو مرة واحدة إلى اسم الكتاب أو اسم مؤلفه.[4]

ونظرت بعد ذلك في كتاب (البرهان في علوم القرآن للزركشي (المتوفى 794 هـ) لأجد أنه لم يخرج فيما ذكره عمن تقدمه.

ثم جاء السيوطي المتوفى 911هـ في كتابه (الإتقان في علوم القرآن) الذي جمع ما سبق فلم يخرج عنه بشيء.

إلا أن هذا لم يمنع من وجود بعض المناقشات والتعليقات التي انفرد بها كل عالم من هؤلاء...

ولما كان أعظم هذه الكتب المتقدمة فائدة وأجمعها نفعاً هو كتاب (المغنى) وذلك في سهولة عبارته ووضوح معناه، وكثرة شاهده وقوة دليله، فقد كان لي معه وقفات في هذا البحث مفيداً مما ذكره ومعتمداً على كثير منه.

وقد تبع هذه الدراسات جميعها دراسة أحد العلماء المعاصرين، وهو الأستاذ محمد عبد الخالق عضيمة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) التي أعدها دراسة موسوعية... وأهم ما تضمنته ما وقع عنده في الأجزاء الأولى الثلاثة، وهي أعمق وأهم الدراسات في كتابه كله مما يتعلق بأسلوب القرآن الكريم...

وإن كان بعض السابقين قد جمع بعض ما تقدمه فقد جمع هو هنا كل ما تقدمه وزاد على ذلك... والكتاب ذو نفع عظيم.

*** أشهر معاني (إذ) و(إذا)**

ذكر صاحب المغني أن (إذ) تاتي على أربعة أوجه[5]:

أحدها: أن تكون اسما للزمن الماضي، وغالب استعمالها هنا أن تكون ظرفا، نحو قوله تعالى "فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟" التوبه /40

والوجه الثاني: أن تكون اسما للزمن المستقبل، نحو قوله تعالى "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا" الزلزلة/4

والثالث: أن تكون للتعليل، نحو قوله تعالى "وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ" الزخرف /39

والرابع: أن تكون للمفاجأة، وهي الواقعة بعد بينا أو بينما.

أما (إذا) فقد ذكر لها وجهين اثنين تأتي عليهما:

أحدهما: أن تكون للمفاجأة، ومنه قوله تعالى "فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ " طه/20

والثاني: أن تكون لغير مفاجأة، والغالب أن تكون ظرفا للمستقبل مضمنة معنى الشرط، ومنها قوله تعالى "ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ" الروم /25.

*** أقوال أشهراللغويين في استعمال (إذ) بدل (إذا) و(إذا) بدل (إذ):**

أولاً: ابن مالك

عقد ابن مالك المبحث الأول في كتابه شواهد التوضيح والتصحيح[6] للحديث (في يا ليتني، وفي استعمال (إذ) مكان (إذا) وبالعكس، وفي تركيب: أو مخرجي هم)، ثم تكلم في المطلب الثالث في استعمال (إذ) مكان (إذا) وبالعكس، فقال: (وقوله: إذ يخرجك قومك، استعمل فيه (إذ) موافقة لـ (إذا) في إفادة الاستقبال)، وهو استعمال صحيح، غفل عن التنبيه إليه أكثر النحويين.

ومنه: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ) (مريم/ 39)، وقوله: (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ) (غافر/ 18) وقوله: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ) (غافر70/ 71).

وكما استعملت (إذ) بمعنى (إذا) استعملت (إذا) بمعنى (إذ) كقوله تعالى: (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴿١٥٦﴾)[7] (آل عمران/ 156) فأنت ترى الإشارة الواضحة عند ابن مالك إلى وجود هذا الاستعمال في اللغة، وأنه قد ورد في كتاب الله تعالى ما يؤيده.

ثانياً: أبو علي المرادي

وقال أبو علي المرادي وهو لا يميل إلى ترجيح هذا الاستعمال (الثاني من معاني "إذ" أن يكون ظرفاً لما يستقبل من الزمان بمعنى "إذا")، ذهب إلى ذلك قوم من المتأخرين منهم ابن مالك، واستدلوا بقوله تعالى: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ) (غافر 70- 71). وبآيات أخرى.

وذهب أكثر المحققين إلى أن (إذ) لا تقع موقع (إذا) ولا (إذا) موقع (إذ) وهو الذي صححه المغاربة، وأجابوا عن هذه الآية ونحوها بأن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ الماضي، وبهذا أجاب الزمخشري، وابن عطية وغيرهما)[8]، قلت: أرى أن المرادي هنا قد علل هذه الظاهرة وتعليلها لا ينفي ورودها بل هو تأكيد لوجودها.

وكذلك يكرر الأمر في حديثه عن (إذا)، فيقول:

(الوجه الثالث: أن تكون ظرفاً لما مضى من الزمان واقعة موقع (إذ) كقوله تعالى: (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ) (التوبة92)، (وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾ (الجمعة11)،

و(إذا) في هذا ونحوه بمعنى (إذ)، هذا مذهب بعض النحويين، وبه قال ابن مالك، قال في التسهيل: وربما وقعت موقع (إذ) و(إذا) موقعها.

والذي صححه المغاربة أن (إذا) لا تقع موقع (إذ) ولا (إذ) موقعها وتأولوا ما أوهم ذلك)[9].

ثالثاً: ابن هشام

وقال ابن هشام معلقاً على هذا الأمر بما يشعر أنه يميل إلى ما قاله ابن مالك (والجمهور لا يثبتون هذا القسم- أي أن تكون (إذ) للمستقبل- ويجعلون الآية (يومئذ تحدث أخبارها) من باب قوله (ونفخ في الصور) أعني من تنزيل المستقبل الواجب الوقوع منزلة ما قد وقع)[10].

ثم يقول: (وقد يحتج لغيرهم بقوله تعالى (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ) (غافر 70-71) فإن (يعلمون) مستقبل لفظاً ومعنى، لدخول حرف التنفيس عليه، وقد أعمل في (إذ)، فيلزم أن يكون بمنزلة (إذا))[11].

رابعاً: الزركشي

والإمام الزركشي يؤكد أن تستعمل (إذا) موقع (إذ) فيقول: (وقد تستعمل (إذا) للماضي من الزمان، كـ (إذ) كما في قوله تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ۝١٥٦) (آل عمران 156) لأن (قالوا) ماض، فيستحيل أن يكون زمانه مستقبلاً)[12].

وكذلك فهو يؤيد أن تستعمل (إذ) موقع (إذا)[13] ويخرج على ذلك قوله تعالى (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ) (غافر 70- 71).

خامسا: عبد الخالق عضيمة

وهذا هو عبد الخالق عضيمة رحمه الله، يؤكد هذا الاستعمال فيقول (في آيات كثيرة من القرآن الكريم جاءت (إذ) للزمن المستقبل، بمعنى (إذا) ومستعملة استعمالها...)[14]

وكذلك يؤكد هذا الأمر في وقوع (إذا) موقع (إذ)[15] وينقل في ذلك كلام المتقدمين كابن مالك وابن هشام والزركشي.

ويقول: (وما الذي يمنع أن تقوم الأدوات بعضها مقام بعض، تجيء (إذ) بمعنى (إذا) كما تجيء (إذا) معنى (إذ))[16].

ومما تقدم يظهر لنا اتفاق أكثر العلماء على هذا الاستعمال الذي وقع فيه كل حرف موقع الآخر عن وضعه الأصل.

إلا أن مما تجدر الإشارة إليه أن هناك خلافاً وقع بين هؤلاء العلماء ليس في تقرير هذه المسألة أو عدمه، وإنما في الاستدلال بالشاهد على هذا الاستعمال وتعليله، وانظر مثلاً كلام السهيلي في قوله تعالى (فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا) (الكهف 71).

فإن الزركشي[17] عد ذلك من باب استعمال (إذا) موقع (إذ)، إلا أن السهيلي[18] ينكر ذلك فيقول (... فيتوهم أن (إذا) ههنا بمعنى (إذ)، لأنه حديث قد مضى، وليس كما يتوهم.

هي على بابها، والفعل بعدها مستقبل بالنسبة إلى الانطلاق لأنه بعده، والانطلاق قبله، ولولا (حتى) ما جاز أن يقال إلا: انطلقا إذ ركبا، ولكن معنى الغاية في (حتى) دل على أن الركوب كان بعد الانطلاق، وإذا كان بعده فهو مستقبل بالنسبة إليه)[19]

فهو على هذا يمنع الاستدلال بهذه على المسألة لخصوصية التعبير ومجيء (حتى)، وسوف تتم الإشارة إلى ذلك بعد قليل، وإلى مزيد من ذلك عند الدراسة التطبيقية، والآيات الكريمة التي جاء فيها مثل هذا الاستعمال وتوجيه القول فيها إن شاء الله تعالى.

ومما تجدر الإشارة إليه أيضاً، أنه ليس من موضوعنا الحديث عن صيغة الفعل بعد (إذ). فقد أشار بعض العلماء إلى هذه الظاهرة بعنوان (آيات المضارع فيها بمعنى الماضي) وقصد بذلك أن يأتي الفعل بعد (إذ) مضارعاً، وهذا ليس من موضوعنا في شيء، فالتعليلات في هذا الأسلوب واضحة عند المفسرين واللغويين.

وانظر مثلاً قوله تعالى (تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٨) (الشعراء/ 98، 97)، قال أبو السعود: (صيغة المضارع لاستحضار الصورة الماضية)[20].

وأنت ترى أن النظر هنا توجه إلى الفعل (نسويكم) وهو مضارع، وقد علل ذلك بما سبق، وكما قلت: فهذا ليس من موضوع بحثنا هذا لأن هذا الحدث قد تم وانتهى فاستعمال (إذ) جاء في مكانه المناسب.

وهكذا نكون قد وضعنا أنفسنا في صورة ما قاله أهل اللغة في هذه المسألة وتوجيههم ذلك.

وأراك قد تتفق معي أنه على الرغم من كثرة ما بحث أهل اللغة هذه المسألة إلا أنك لا تجد تعليلات بلاغية كافية ومفصلة للآيات القرآنية إذ لم يكن هدفهم الوقوف مع جميع شواهد هذا الاستعمال، قد تجد بعض الإشارات لكنها متفرقة، وذلك كما نجد عند الزركشي إذ يقول عند قوله تعالى (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ ۝٢٧) (الأنعام 27) (وترى) مستقبل، و(إذا) ظرف للماضي، وإنما كان ذلك لأن الشيء كائن، وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله قد كان، لأن علمه به سابق وقضاءه به نافذ، فهو كائن لا محالة).[21]

من هنا سيكون الأهم في بحثي هذا جمع هذه الشواهد والوقوف مع دلالاتها وتعليلات العلماء فيها.

المطلب الثاني: إذ/ إذا في كتب التفسير

لم يخرج كلام المفسرين في هذا المسألة كثيراً عن كلام اللغويين، إلا أن كلام اللغويين كان في جانب القواعد والأسس، ولذلك هم يأتون بالحرف والمعاني التي يأتي عليها هذا الحرف ثم يذكرون بعض الشواهد القرآنية على ذلك.

أما المفسرون فيختلف منهجهم في ذلك عن منهج اللغويين في كتبهم، فهم لا يذكرون هذه المعاني ولا هذه القواعد، وإذا مروا بحرف احتاجوا أن يتكلموا عنه بمثل هذا فإنهم يذكرون ذلك مختصراً ويشيرون إليه إشارات.

وثم فرق آخر بين المنهجين، ذلك أننا قل ما وجدنا التعليل أو بيان الوجه البلاغي عند اللغويين، في حين كان ذلك أوفر وأكثر منه عند المفسرين، وسوف يأتي تفصيل ذلك في الدراسة التطبيقية إن شاء الله.

وأنا هنا سأشير سريعاً إلى موقف بعض المفسرين من هذا الاستعمال لأسلط الضوء على المنهج العام عندهم في ذلك، وأقف مع أشهر المفسرين لكتاب الله ممن تناولوا هذه القضايا اللغوية والأسلوبية بشيء من العناية والدقة والذين سيكون لنا وقفة معهم في الدراسة التطبيقية إن شاء الله، وليس من هدفي هنا نقل خلافات المفسرين الواسعة في شأن (إذا) و(إذ) وحديثهم عن معانيها واستعمالاتها وإنما اقتصر على من عنى بالإشارة إلى الأسلوب الذي يتناوله هذا البحث، مبتدئا بذكر من يرى وقوع هذا الاسلوب ؛ ومن هؤلاء:

أولاً: الطبري

وأقف أولاً مع شيخ المفسرين الطبري والذي وقف مع هذا الأسلوب وأشار إليه وأكد وجوده في القرآن الكريم، أشار إلى ذلك في تأويل الآية (156/آل عمران)[22] وتأويل الآية (116/ المائدة)[23] وتأويل الآية (27 الأنعام)،[24] والطبري إذ يقف مع هذا الأسلوب فإنه يعالجه من ناحية الصنعة اللفظية ولا يذكر له علة في المعنى، وهو وإن كان قد نص على وجود علة ما، كما في قوله: (ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير، والعلة في كل ذلك واحدة)[25] إلا أنه لم يذكر هذه العلة.

ثانياً: ابن عطية

وابن عطية رحمه الله قد أشار صراحة إلى وجود هذا الأسلوب كثيراً ً في كتاب الله تعالى، قال (وعبر عن ظرف الاستقبال بظرف لا يقال إلا في الماضي، لأنه لما تيقن وقوع الأمر حسن تأكيده بالإخراج في صيغة الماضي، وهذا كثير في القرآن)[26].

ثالثاً: الزمخشري

والزمخشري يشير إلى هذا الاستعمال ويعلله في الأسلوب القرآني، إذ يقول: (إلا أن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها، عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال)[27].

ويمثل هذا التعليل والموقف كان كلام وموقف البيضاوي[28] والجمل[29] في الفتوحات.

رابعاً: الإمام فخر الدين الرازي

وقد كان للرازي وقفة مع قوله تعالى (وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ) (آل عمران /156).

أجاب فيها على الإشكال الذي نشأ من أن قوله تعالى (لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَالُواْ) يدل على الماضي، وقوله (إِذَا ضَرَبُواْ) يدل على المستقبل، فكيف الجمع بينهما؟.

وحتى لا نستعجل الأمور، سأذكر ذلك بالتفصيل عند الدراسة التطبيقية، ولكن هنا أبين أن الرازي أيضاً ممن أشار إلى هذا الاستعمال، وقال (فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى)[30].

يقصد ورود القرآن بهذا الاستعمال دليل واضح أولى من أن نستدل على ذلك ببيت شعر نعلم قائله أو قد لا نعلمه.

خامساً: القرطبي[31]

والقرطبي لم يكن بعيداً عن هذه الأمور والإشارة إليها، ففي تفسيره لقوله تعالى (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ) (المائدة/ 116)، يقول: (وعلى هذا تكون (إذ) بمعنى (إذا) كقوله تعالى (ولو ترى إذ فزعوا) أي: إذا فزعوا)[32]

سادساً: أبو حيان[33]

وقد كان لأبي حيان وقفات مع هذه الآيات في أسلوبها، يقول في تفسير الآية (وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ ﴿١١٦﴾ (المائدة/116) (القول من الله إنما هو يوم القيامة، فيقع التجوز في استعمال (إذ) بمعنى (إذا)، والماضي بعده بمعنى المستقبل).[34]

وفي تفسر الآية (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ (39/ الزخرف) يذكر لـ (إذ) وجهاً فيقول (ولا يجوز البدل ما دامت (إذ) على موضوعها مع

المعنى، فإن جعلت لمطلق الزمان جاز).[35]

سابعا: ابن عاشور[36]

ومن المعاصرين نجد ابن عاشور يؤكد تكرار هذا الأسلوب فيقول: (وشأن (إذ) أن تكون اسماً للزمن الماضي، واستعملت هنا للزمن المستقبل بقرينة (سوف) فهو إما استعمال المجاز بعلاقة الإطلاق، وإما استعارة تبعية للزمن المستقبل المحقق الوقوع تشبيهاً بالزمن الماضي، وقد تكرر ذلك)[37]. ومن أشهرالمفسرين الذين يعارضون وجود هذا الاسلوب:

ثامنا: السمين الحلبي

فهو يرد هذا الاسلوب بقوله (لم يعهد في (إذ) أنها تكون لمطلق الزمان، بل هي موضوعة لزمان خاص بالماضي كأمس).[38]

ويظهر من كلام من نقلنا لك كلامه:

1. أن المفسرين عموماً يؤكدون هذه الأسلوب في القرآن الكريم.
2. أنهم ليسوا سواء في تفسيره، ففي الوقت الذي نجد فيه وقفات للزمخشري والرازي، نجد الصنعة النحوية تغلب على قول أبي حيان، ونجد كذلك الصنعة البلاغية تغلب على قول ابن عاشور كما ظهر لك.
3. أنهم في أغلبهم يعللون هذا الأسلوب ويشيرون إلى دلالته.

المبحث الثاني
الدراسة التطبيقية

كان منهجي في الحديث عن هذا الأسلوب أن أجمع ما ذكره أهل اللغة من الآيات التي عدوها في ميدان هذا الأسلوب، ثم النظر في كتب التفسير في مواطن تفسير هذه الآيات لألتمس التعليلات والإرشادات عندهم، ولما كان الهدف من بحثي هذا تشكيل النموذج وليس الإستقصاء والاستيعاب، فإني على ذلك تركت الحديث عن أمرين:

الأول: الآيات التي وجدتها في كتب اللغة ولكنني لم أجد عن المفسرين إشارة لهذا الأسلوب فيها.

الثاني: الآيات التي لم تذكرها كتب اللغة إلا أن من المفسرين من أشار عند تفسيرها إلى هذا الأسلوب[39].

المطلب الأول: الآيات التي جاءت فيها (إذ) موقع (إذا)

- توطئة

من خلال تتبعي ما كتب في كتب اللغة تحت هذا الأسلوب وجدتهم ذكروا عدداً من الآيات الكريمات، وأنا أذكرها هنا مع الإشارة إلى من ذكرها من العلماء، ثم بعد ذلك أتولى دراستها دراسة ميدانية في كتب التفسير:

1. قوله تعالى:[40] (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ) (المائدة/ 116).
2. قوله تعالى:[41] (وَلَو تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ (الأنعام27).
3. قوله تعالى:[42] (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ (30/الأنعام).
4. قوله تعالى:[43] (أَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ (39/ مريم).
5. قوله تعالى:[44] (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ (51/ سبأ).
6. قوله تعالى:[45] (وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ (18/ غافر).
7. قوله تعالى:[46] (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ (71/70/ غافر).
8. قوله تعالى:[47] (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ (39/ الزخرف).

دراسة الآيات

وأبدا الآن بدراسة هذا الأسلوب من خلال هذه الآيات الكريمات وقد جمعت أقوال المفسرين في توجيهها وتعليلها، ولعلي لست مخطئاً إذا قلت: إنني لم أجد من هذه الآيات ما تحدث عنها المفسرون إلا أربع آيات هي (آية المائدة /116 والأنعام/ 27 وغافر/ 71/70 والزخرف/ 39).

أولاً: قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ) (المائدة/116). على أحد القولين في معناها:

قال السمين الحلبي: (قوله تعالى: وإذ قال الله: هل هذا القول وقع وانقضى أو سيقع يوم القيامة؟ قولان للناس.

فقال بعضهم: لما رفعه إليه قال له ذلك، وعلى هذا ف(إذ) و(قال) موضوعهما من المضي، وهو الظاهر.

قال بعضهم: سيقوله له يوم القيامة، وعلى هذا ف(إذ) و(قال) بمعنى (يقول) وكونها بمعنى (إذا) أهون من قول أبي عبيدة أنها زائدة، لأن زيادة الأسماء ليست بالسهلة)[48] فأنت

تراه يشير إلى كون (إذ) بمعنى (إذا) لكنه لم يعلل ذلك. وقد رد ابن عاشور القول الذي يرتضيه الحلبي أي الرأي الأول فيقول: (فهو مما يقوله الله يوم يجمع الرسل وليس مما قاله في الدنيا، لأن عبادة عيسى حدثت بعد رفعه، ولقوله "هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم" فقد أجمع المفسرون على أن المراد به يوم القيامة).[49] وقد أشار الرازي إلى المسألة عند قوله تعالى من السورة نفسها (وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى) (المائدة110) فقال خرج (قوله "إذ قال" على اللفظ الماضي دون المستقبل وفيه وجوه:

الأول: الدلالة على قرب القيامة حتى كأنها قد قامت ووقعت وكل آت قريب.

الثاني: انه ورد على حكاية الحال)[50].

وقد أشار أبو السعود إلى تعليل هذا الأسلوب هنا فقال (وصيغة الماضي لما ذكر من الدلالة على تحقق الوقوع)[51].

ويمكن على ذلك الجمع بين قول الرازي وقول أبي السعود، فيكون من حكمة هذا التعبير: تأكيد تحقق وقوع يوم القيامة، والدلالة على قرب ذلك.

ثانياً: قوله تعالى: (وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ) (الأنعام27).

قال ابن عطية (ووقعت (إذ) في موقع (إذا) التي هي لما يستقبل، وجاز ذلك لأن الأمر المتيقن وقوعه يعبر عنه كما يعبر عن الماضي الوقوع)[52].

قال الرازي: (فإن قيل: فلماذا قال (ولو ترى) وذلك يؤذن بالاستقبال، ثم قال بعده (إذ وقفوا)، وكلمة إذ للماضي، ثم قال بعده (فقالوا) وهو يدل على الماضي؟

قلنا: إن كلمة (إذ) تقام مقام (إذا) إذا أراد المتكلم المبالغة في التكرير والتوكيد، وإزالة الشبهة، لأن الماضي قد وقع واستقر، فالتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضي، يفيد المبالغة من هذا الاعتبار)[53].

قال أبو السعود: (وصيغة الماضي للدلالة على التحقق)[54].

وإذا كان ابن عطية قد علل الاستعمال بأنه لإفادة أن وقوفهم على النار متيقن منه، فقد زاد الرازي في تجلية وتوضيح ذلك، كما ترى، فهو ذكر أن ذلك لإفادة الاستقرار والتيقين، ولكنه أيضاً لتحقيق الاعتبار من هذا الموقف وتأكيده في النفس فلا ترتاب في أمره، بل وتعد له.

وكما علل ابن عطية الآية هنا عللها السمين الحلبي إذ يقول (إلا أنه أبرز في صورة الماضي لتحقق الوعد)[55].

قال ابن عاشور (و (وقفوا) ماض لفظاً والمعني به الاستقبال، أي إذ يوقفون. وجيء فيه بصيغة الماضي للتنبيه على تحقيق وقوعه لصدوره عمن لا خلاف في خبره).[56]

ثالثاً: قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ) (غافر 70/ 71).

قال ابن عطية (وعبر عن ظرف الاستقبال بظرف لا يقال إلا في الماضي. لأنه لما تيقن وقوع الأمر حسن تأكيده بالإخراج في صيغة الماضي، وهذا كثير في القرآن).[57]

وقال الزمخشري: (فإن قيل: سوف للاستقبال، وإذ للماضي... قلنا: المراد من قوله (إذ) هو (إذا) لأن الأمور المستقبلية لما كانت في أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعاً بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد، والمعنى على الاستقبال).[58]

قال أبو السعود (ولفظ الماضي لتيقنه)[59].

قال الآلوسي (قوله تعالى: إذ الأغلال في أعناقهم: ظرف (ليعلمون)، والمعنى على الاستقبال، والتعبير بلفظ المضي للدلالة على تحققه حتى كأنه ماض حقيقة، فلا تنافر بين (سوف و(إذ))[60].

وبهذا التعليل قال البيضاوي[61]، وأبو حيان، وقال: (وحسن ذلك تيقن وقوع الأمر).

رابعاً: قولة تعالى: ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾) (الزخرف/ 39).

قال الآلوسي: (إذ ظلمتم: بدل من (اليوم) أي إذ تبين أنكم ظلمتم في الدنيا، قاله غير واحد، وفسر ذلك بالتبيين، قيل: لئلا يشكل جعله وهو ماض بدلاً من (اليوم) وهو مستقبل، لأن تبيين كونهم ظالمين عند أنفسهم إنما يكون يوم القيامة، فاليوم وزمان التبيين متحدان... وقال ابن جني[62]: راجعت أبا علي في هذه المسألة، يعني الابدال المذكور مراراً، وآخر ما تحصل منه أن الدنيا والآخرة متصلتان، وهما سواء في حكم الله سبحانه وعمله جل شأنه، إذ لا يجري عليه زمان، فكأن (إذ) مستقبل أو (اليوم) ماض، فصح ذلك)

وقد علق على ذلك الآلوسي بقوله: (ورد بأن المعتبر حال الحكاية والكلام فيها وارد على ما تعارفه العرب، ولولاه لسد باب النكات، ولغة الاعتبارات في العبارات، ومثله غني عن البيان)[63].

وكذلك ابن عاشور، لم يرتض التعليل المبني على اعتبار أن الدنيا والآخرة سواء في حكم الله وعلمه، وقال (وهو جواب وهن مدخول)[64].

ومع ذلك فهو لم يأت بتعليل آخر يشفي الغليل، إلا تعليلاً يزيل الشبهة عن لغة القرآن مفاده (أن يكون (اليوم) ظرفاً للحكم والاخبار، أي تقرر اليوم انتفاء انتفاعكم بالاشتراك في العذاب إنتفاء مؤبداً من الآن)[65].

وعلى كل حال فما ذكرته من التعليلات السابقة صورة

واضحة عن موقف العلماء من هذا الأسلوب.

واستطيع بعد هذا أن أسجل بعض الملحوظات:

أولاً: إنه ليس كل ما ورد من هذه الآيات الكريمة مما عده بعض العلماء من هذا الباب أو تحت هذا الأسلوب متفق عليه، فقد خالف في ذلك بعضهم.

من ذلك ما ذكره السيوطي في قوله تعالى (وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) (الزخرف/ 39)، فقال: (الوجه الثاني ل(إذ) أن تكون للتعليل).[66] وذكر هذه الآية من سورة الزخرف شاهداً على ذلك.

ثانياً: لو نظرنا في موضوع الآيات السابقة، لوجدناها جميعها تتحدث عن مشاهد ومواقف من اليوم الآخر، وتدبر في أي آية تجد ذلك واضحاً، وهذا أمر حري بالاهتمام به والتنبيه عليه، فقد ناسب لتأكيد تحقق هذا اليوم واحداثه التعبير ب(إذ) بدل (إذا).

ثالثاً: إن دراسة مثل هذا الأسلوب ليس بالضرورة أن يكون له في كل آية يأتي فيها توجيه أو تعليل- يختلف عنه في الآية الأخرى، بل قد تطرد العلة ويطرد التوجيه باطراد الأسلوب في كل الآيات الكريمات التي وردت في ذلك.

وقد كان هذا الأمر جلياً فيما نقلته- فيما تقدم- عن أشهر العلماء المفسرين الذين وقفوا عند هذا الأسلوب، وبينت كيف اجتمع قولهم في العموم على تعليل واحد، وهو افاده الاستقرار والتيقن وتحقق الوقوع، وما ينتج عن ذلك من المبالغة في هذا الاعتبار وتحقيق العظة.

رابعاً: ومما يجب ذكره هنا أن دراسة مثل هذا الأسلوب تحتاج إلى جهد وتدبر وعناية خاصة بكل آية في سياقها لتكون الوقفة مع بلاغة القرآن أدق وأجلى، مع تأكيدي أن وقفات العلماء السابقين في هذا السياق ذات قدر وجلال وإن لم تكن كافية، ولعل الله ييسر دراسة جميع الآيات على هذا النحو.

المطلب الثاني: الآيات التي جاءت فيها (إذا) موقع (إذ) توطئة

عند البحث وجدت الآيات التي جاء فيها هذا الأسلوب هي هذه الآيات:

1. قوله تعالى[67] (﴿١٥٦﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (آل عمران/ 156).
2. قوله تعالى[68] (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ) (التوبة/92).
3. قوله تعالى[69] (وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَـٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَـٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ) (الجمعة/ 11).
4. الآيات الكريمات[70] التي جاءت فيها (إذا) بعد (حتى) ودلت على الماضي وهي:
   - (حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ) (آل عمران/ 152).
   - (وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَـٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟) (الأنعام/ 25).
   - (وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) (التوبة/ 188).
   - (حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ) (الكهف/74).

وغير هذه الآيات- بحسب هذا الأسلوب- كثير فإني أترك بحثها هنا لأمرين:

- الأول: ضرورة بحثي التي تقضي بالاختصار.
- الثاني: إن هذه الآيات جميعها جاءت بعد (حتى)، وللعلماء كلام كثير في (حتى) - التي للتعليل- في سياقها مع (إذا) الشرطية. والأمر يحتاج في ذلك إلى دراسة متأنية تفصيلية ليس هذا البحث مكانها، وقد تقدمت الإشارة في الكلام الذي نقلته عن السهيلي إلى هذا الأسلوب. لذلك سأقتصر في بحثي هنا على دراسة الآيات الثلاث الأولى السابقة، إن شاء الله تعالى.

وأكثر أشارت العلماء وكلامهم نجدة عند آية سورة (آل عمران/ 156) بل قد لا نجد شيئاً عندهم في الإشارة لهذا الأسلوب إلا عند هذه الآية.

وقد حاولت جاهداً أن أجد كلاماً آخر عند آية (التوبة/92) أو آية (الجمعة/11) فلم أجد إلا إشارة واحدة وردت عند الألوسي ستأتي في مكانها إن شاء الله تعالى.

وقد أحوجني هذا الأمر إلى شيء من الشجاعة والجرأة لأدلي بدلوي في إلتماس التعليل للآيتين الكريمتين.

دراسة الآيات

وأبدأ الحديث عن الآية الأولى:

1. قوله تعالى (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ) (آل عمران/156)

قال ابن عطية (ودخلت (إذا) في هذه الآية، وهي حرف استقبال، من حيث (الذين) اسم فيه إبهام يعم من قال في

الماضي ومن قال في المستقبل، ومن حيث هذه النازلة تصور في مستقبل الزمان، ويطرد النهي للمؤمنين فيها.

فوضعت (إذا) لتدل على إطراد الأمر في مستقبل الزمان. وهذه فائدة وضع المستقبل موضع الماضي... كما أن فائدة وضعهم الماضي موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الأمر، لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع)[71]

قلت: وتكاد عبارة ابن عطية تكون مدار كلام معظم المفسرين الذين جاؤوا بعده.

إلا أن الزمخشري لم يزد أن بين ذلك على أنه (على حكاية الحال الماضية)[72] والذي شرح هذه العبارة فيما بعد الألوسي، وسيأتي بيان كلامهما.

والرازي[73] يقف مع هذه الآية وينظر لها من جانبين:

* **الأول:** قوله تعالى (وقالوا لاخوانهم) وهو ماض و(إذا) للمستقبل، وأجاب على هذا الجانب من وجهين:

***أولهما:** أن قوله (قالوا) تقديره (يقولون)، والفائدة في التعبير بالماضي اثنتان:

أ- أن الشيء الذي يكون لازم الحصول في المستقبل فقد يعبر عنه بأنه حدث أو حادث.

ب- إنه تعالى لما عبر عن المستقبل بلفظ الماضي دل ذلك على أنه ليس المقصود الإخبار عن صدور هذا الكلام، بل المقصود الإخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة، وهذا الجواب المعتمد عنده كما ذكر.

* **ثانيهما:** أن الكلام خرج على سبيل حكاية الحال الماضية، أي أن كل من يخبر في المستقبل عن هذه الحادثة يقول: (قالوا).

وذلك الوجه الذي ذكره الزمخشري قد شرحه الرازي هنا.

* **الثاني:** ونقله عن قطرب[74] في أن (إذ) و(إذا) يجوز إقامة كل واحدة منهما مقام الأخرة. وقد حسن الرازي كلام قطرب هذا.

والمتأمل كلا م الرازي يجد أنه علل ورود الأمر بهذه الصيغة من جانبين اثنين:

الأول منهما: ما يتعلق بكل من سيأتي في المستقبل وأن ما تعلل به هؤلاء المنافقون قد يأتي مثلهم من يتعلل به، وأن هذه الصفة أو الحالة النفسية ليست منقطعة بل هي حالة نفسية متجددة في نفوس البشر ضعاف الإيمان.

الثاني منهما: وهو ما يتعلق بحال من يتذرع ويتعذر بهذا العذر، وأنهم قالوا هذا الكلام واجتهدوا في تأكيده ليلاقي منهم القبول عند الرسول صلى الله عليه وسلم.

كأنه يريد أن يقول: إن القرآن من خلال هذا الأسلوب صور لنا أمرين إثنين:

الأول: أن هذه الحالة لا تنتهي فسوف تتكرر وسيكون هناك من يتذرع بهذا العذر.

الثاني: إن الذين يتعللون بهذا العذر إنما يجتهدون في تأكيده والتعلق به، فكأنما صدقوه وهو كذب.

وأنا أرى أن كلا الأمرين مقبول، بل هما في غاية الدقة والروعة.

أما كلام قطرب الذي حسنه الرازي من أن (إذ) و(إذا) يجوز إقامة كل واحد منهما مقام الآخر فلا يكون لذلك حكمة أو غاية، فقد لا نقره عليه، لأن لكل حرف في كتاب الله تعالى في موقعة رسالة عظمى، وأن تتناوب هذه الحروف في معانيها دون فائدة أمر لا نقبله في كلامنا فضلاً عن كلام الله.

وقد علق السمين الحلبي على القول بأن (إذا) بمعنى (إذ) فقال: (وقيل: (إذا) بمعنى (إذ) وليس بشيء)[75]. فأنت ترى كيف أن السمين الحلبي لا يقرأن يتناوب هذان الحرفان لانهما بمعنى واحد، فلا بد إذاً من حكمة في استعمال القرآن (إذا) في موقع (إذ). وهذا ما نبحث عنه.

وقد أشار القرطبي[76] ومن المحدثين ابن عاشور[77] إلى ورود (إذا) بمعنى (إذ) في هذه الآية لكنهما لم يذكرا أي تعليل لذلك.

أما أبو السعود فعلل ذلك بأنه لاستحضار الصورة إذ قال (وإيثار (إذا) المفيدة لمعنى الاستقبال على (إذ) المفيدة لمعنى المضي لحكاية الحال الماضية، إذ المراد بها الزمان المستمر المنتظم للحال الذي عليه يدور أمر استحضار الصورة)[78] كأني به يركز اهتمامه على أن ذلك لبعث هذا المشهد الماضي واستحضاره في عقل ووجدان المستمع.

وقد لجأ أبو حيان إلى تعليل ذلك وتسويغه وفق الصناعة النحوية، فقال بعد ما نقل كلام ابن عطية والزمخشري: (ويمكن إقرار (إذا) على ما أستقر لها من الاستقبال، والعامل فيها مضاف مستقبل محذوف، وهو لابد من تقدير مضاف، غاية ما فيه أننا نقدره مستقبلاً حتى يعمل في الظرف المستقبل...

فيكون تقدير الكلام: وقالوا مخافة هلاك اخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى: لو كان اخواننا الآخرون الذين تقدم موتهم وقتلهم عندنا- أي مقيمين- لم يسافروا ما ماتوا وما قتلوا.

فتكون هذه المقالة تثبيطاً لاخوانهم الباقين عن الضرب في الأرض وعن الغزو...)[79].

وقد استبعد الآلوسي[80] قول أبي حيان هذا، ولم يبين سبب ذلك.

وفي الوقت نفسه لم يعلل الآلوسي هذا الأسلوب إلا بما شرحه من كلام الزمخشري في كونه حكاية للحال الماضية إذ يقول:

(وجيء ب(إذا)... إعادة لحكاية الحال الماضية، ومعنى ذلك أن تقدر نفسك كأنك موجود في ذلك الزمان الماضي، أو تقدر ذلك الزمان كأنه موجود الآن، وهذا كقولك: قالوا ذلك حين يضربون، والمعنى حين ضربوا، لأنك جئت بلفظ المضارع استحضاراً لصورة ضربهم في الأرض)[81].

وهكذا كانت تعليلات العلماء تدور في هذا الفلك... قال الفراء[82] (كان ينبغي في العربية أن يقال: وقالوا لاخوانهم إذ ضربوا في الأرض، لأنه ماض، كما تقول: ضربتك إذ قمت، ولا تقول ضربتك إذا قمت.

وذلك جائز، والذي في كتاب الله عربي حسن، لأن القول وإن كان ماضياً في اللفظ، فهو في معنى الاستقبال)[83].

الآيتان الثانية والثالثة

- وإذا تجاوزنا الآية السابقة إلى الآيتين التاليتين فإننا لا نكاد نجد أي إشارة عند المفسرين إلى شيء من هذا الأسلوب، ولم أجد في ذلك شيئاً إلا ما وجدته عند الآلوسي في تفسيره لآية سورة (الجمعة /11) إذ يقول: (والآية لما كانت في اولئك المنفضين وقد نزلت بعد وقوع ذلك منهم قالوا: إن (إذا) فيها قد خرجت عن الاستقبال للماضي...)[84].

ولم يعلل بغير ذلك، وليس هذا بتعليل, فهو يؤكد أن (إذا) خرجت عن الاستقبال للماضي لان الآية نزلت بعد حادثة الانفضاض، كأنه يريد أن يقول: الأصل في التركيب هو (وإذ رأوا) لأنها حديث عن أمر انقضى وانتهى.

قلت: وإذا كان التعبير قد جاء بـ (إذا) فما الحكمة؟

وإني أرى أن الحكمة في ورود التعبير في آية التوبة وآية الجمعة بهذا الأسلوب هي ذاتها الحكمة التي ذكرها المفسرون في موضوع آية آل عمران: ولكني أوضح معناها ودلالتها هنا على هذا النحو فأقول:

- قولة تعالى (وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ) (التوبة: /92).

فإن الله تعالى قد رفع الحرج والذنب والمؤاخذة في التخلف عن الجهاد عن الضعفاء والمرضى والذين لا يملكون الاستعداد المالي لينفقونه للخروج في سبيل الله والذين لا يجدون المركوب الذي يخرجون عليه للجهاد في سبيل الله.

ثم لما كان موقف هؤلاء الصادقين في إيمانهم وعزيمتهم وهمتهم مؤثراً، إذ يأتون إلى الرسول- صلى الله عليه وسلم- طالبين الخروج... لكن الرسول- صلى الله علية وسلم- يعتذر لهم لأنه لا يملك ما يركبون عليه للخروج... فيرجعون ليسوا فرحين ولا مسرورين، وإنما تفيض أعينهم من الدمع حزنا إلا يجدوا ما ينفقون...

لما كان موقف هؤلاء مؤثراً في صدقة إلى هذا الحد كان التعبير عن هذا الحدث الماضي بصيغة المضارع لبقاء هذه الصورة خالدة في الأذهان مستحضرة في كل وقت وزمان.

وأن الأمة المسلمة لا تعدم أن تتكرر فيها مثل هذه المواقف من الصدق والإخلاص والإيمان والوفاء لهذا الدين..

- أما قولة تعالى (وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ) (الجمعة/11)

فإن الغاية فيها ذات الغاية والعلة ذات العلة، لكنها في استحضار صورة يجب أن يحذر منها المؤمنون الصادقون المخلصون حتى لا يقع احد منهم فيما وقع فيه أولئك، فسجل القرآن عليهم ذلك الموقف الذي يحمل كل معاني العتاب في صورة عالية من الذوق والرحمة، لتبقي هذه الآية هذه الصورة منفِّرة من هذا السلوك الذي يلهي الإنسان به نفسه عن ذكر الله والداعين إلى الحق، فإن الإعراض عن الداعين إلى الحق إعراض عن الحق نفسه...

وإن مثل هذه الصورة لا شيء يمنع من تكرارها، فهي سلوك بشري قائم... فجاءت هذه الآية للحديث عن أمر انقضى وانتهى بلفظ المستقبل لتبقى الصورة حاضرة في أذهاننا لا تغيب...

الخاتمـة

الحمد لله في الأولى والآخرة، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه.

وبعد،

فقد أكرمني الله تعالى بإتمام هذا البحث...

فما زادني إلا إيماناً وقناعة بضرورة دراسة أسلوب القرآن الكريم، دراسة استقصائية تطبيقية في كامل تفصيلات ودقائق نظمه الجليل...

وأنا أعلم أن جهدي البسيط في هذا البحث لا يعدو أن يكون ملحوظات سطرتها بقلمي الآن لتبقى نبراساً وهاديا ومذكراً.

وقد أوردت جملة من النتائج كنت سجلتها في ثنايا البحث عقب الحديث عن كل أسلوب أعيد ذكرها وترتيبها هنا – مختصراً- ليتم تأكيدها؛ من ذلك:

1- إن ورود هذه الظاهرة في القرآن أمر واضح بين لافت للانتباه، يشير إلى قيم ومعانٍ عدة.

2- إن استعمال القرآن هذا الأسلوب يؤكد ما للأساليب البلاغية من قيم نفسية، وتأثير وجداني وعقلي على المخاطب أو السامع، يظهر ذلك من خلال ما يمكن استخلاصه من نتيجة عامة لهذا الأسلوب، وهو ما يأتي الآن.

3- يمكن تسجيل قاعدة عامة من خلال هذا البحث يؤكد فيها على ما ذكره علماؤنا عن دلالات الأساليب العربية؛ وهو أن التعبير بالماضي عن المستقبل يفيد الثبوت والاستقرار، وأن التعبير بالمستقبل عن الماضي يفيد استحضار صورة ذلك الماضي للحث على الاعتبار والاتعاظ بما فيه.

4- إن استعمال القرآن (إذ) موقع (إذا) يقصد به الثبوت والاستقرار لمضمون ما استعملت فيه، وأن استعمال (إذا) موقع (إذ) يقصد به استحضار صورة الماضي وبعثها للإشارة إلى قيمة الحدث والموضوع المتحدث فيه.

5- إن هناك ظواهر في الأسلوب القرآني لا زالت بحاجة إلى الكشف عن أسرارها ومكنوناتها ودلالاتها، أسأل الله أن يقيض لها جهود الباحثين والدارسين.

6- إن كل آية جاء فيها هذا الأسلوب يكون تعليل ذلك بحسب السياق الخاص بها وتفصيل ذلك ورد في سياق البحث عند كل آية تناولها.

والله أعلى وأعلم

الهوامـش

(1) السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، 241/2، والسمين الحلبي هو أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، مفسر، عالم بالعربية والقراءات، شافعي، استقر واشتهر في القاهرة، من كتبه (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ) و(الدر المصون في علوم الكتاب المكنون)، (أنظر في ترجمته: الزركلي، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط (15)، 274/1.

(2) هو أحمد بن محمد بن عبد النور بن راشد المالقي المالكي، يكنى (أبا جعفر)، مواليد "مالقة" في الاندلس، توفي سنة (702)هـ، من كتبه: رصف المباني في شرح حروف المعاني،شرح الجمل الكبيرة للزجاجي.

(3) هو ابن أم القاسم، الحسن بن القاسم بن عبد الله المرادي المصري، مفسر، أديب، مولده في مصر، وشهرته واقامته في المغرب. ومن أشهر كتبه: (تفسير القرآن)، (أعراب القرآن) (شرح الفية ابن مالك) ت(749)هـ/ الزركلي، الأعلام، ج2/ ص211.

(4) انظر عضيمة، دراسات الأسلوب القرآن، ط1، 99/2.

(5) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، ص120/111.

(6) ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، ص4.

(7) ابن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح، ص9-10.

(8) المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، ص211.

(9) المرادي، الجنى الداني، ص363/362.

(10) ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، ص113 بتصرف.

(11) ابن هشام، مغني اللبيب، ص113.

(12) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 190/4.

(13) الزركشي، البرهان، 207/4.

(14) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 105/1.

(15) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 174/1.

(16) عضيمة، دراسات لأسلوب القرآن الكريم، 145/1.

(17) الزركشي، البرهان، 191/4.

(18) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي، حافظ، عالم باللغة والسير، أقام في مراكش وتوفي فيها عام 581هـ، من كتبه: الروض الأنف، نتائج الفكر/ الزركلي، الأعلام 313/3.

(19) السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، 286/1.

(20) أبو السعود، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط1، 110/40.

(21) الزركشي، البرهان 207/4.

(22) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، 491/3.

(23) الطبري، جامع البيان، 137/5.

(24) الطبري، جامع البيان، 173/5.

(25) الطبري، جامع البيان، 492/3.

(26) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ط1، 67/13.

(27) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ط2، 183/4.

(28) القونوي، حاشية القونوي على تفسير الامام البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد، ط1، 97/17.

(29) الجمل، الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، ط1، 492/6.

(30) الرازي، التفسير الكبير، ط1، 58/3.

(31) هو محمد بن محمد بن أبي بكر الأندلسي، أبو عبد الله من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة. توفي في

مصر(671)هـ، من كتبه: الجامع لأحكام القرآن، قمع الحرص بالزهد والقناعة/ الزركلي، الاعلام 322/5.
(32) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 375/6.
(33) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف الغرناطي، الأندلسي- من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات، ولد في غرناطة وتوفي بالقاهرة عام 745هـ. من كتبه: البحر المحيط في التفسير، طبقات نحاة الأندلس/ الزركلي، الاعلام، 125/7.
(34) أبو حيان، البحر المحيط، ط1، 58/4.
(35) أبو حيان، البحر المحيط، 474/4.
(36) هم محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعة بتونس، مولده ووفاته ودراسته فيها من أشهر كتبه: التحرير والتنوير في تفسير القرآن، موجز البلاغة، توفي 1973م/ الزركلي، الأعلام 174/6.
(37) ابن عاشور، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، الدار التونسية، تونس، 1984، 202/22.
(38) السمين الحلبي، الدر المصون، 100/6.
(39) لم أعثر في حدود بحثي إلا على ما قيل في تفسير قوله تعالى" (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) (الشعراء/ 69-70)، انظر: أبو حيان، البحر المحيط 21/7.
(40) عضيمة، دراسات الأسلوب القرآن الكريم، 145/1.
(41) الزركسي، البرهان، 207/4.
(42) لم أجد من ذكرها غيري فأثبتها هنا.
(43) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص9.
(44) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، ص112.
(45) ابن فارس، الصاحبي، ص9.
(46) ابن فارس، الصاحبي، ص9، الزركشي، البرهان، ص/208.
(47) ابن هشام، مغني اللبيب، ص114، الزركشي، البرهان 208/4.
(48) السمين الحلبي، الدر المصون، 655/2.
(49) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 112/6.
(50) الرازي، الفتح الكبير، 103/6.
(51) أبو السعود/ ارشاد العقل السليم، 337/2.
(52) ابن عطية، المحرر الوجيز، 167/5.
(53) الرازي، الفتح الكبير، 508/4.
(54) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، 369/2.
(55) السمين، الحلبي، الدر المصون، 584/4.
(56) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 184/7.
(57) ابن عطية، المحرر الوجيز، 67/13.
(58) الزمخشري، الكشاف، 360/5.
(59) أبو السعود، ارشاد العقل السليم 427/5.
(60) الآلوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ط1، 362/24.
(61) القونوي، حاشية القونوي، 99/17.
(62) أبو حيان، البحر المحيط، 271/9.
(63) الآلوسي، روح المعاني، 115/26.
(64) الآلوسي، روح المعاني، 115/26.
(65) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 215/25.
(66) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 215/25.
(67) السيوطي، الاتقان في علوم القرآن، ط1، 532/1.
(68) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص9، الزركشي، البرهان، 190/40.
(69) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص10، ابن هشام، مغني اللبيب، ص130.
(70) ابن مالك، شواهد التوضيح، ص10، الزركشي، البرهان، 190/40.
(71) ابن عطية، المحرر الوجيز، 390/3.
(72) الزمخشري، الكشاف، 457/1.
(73) الرازي، الفتح الكبير، مجلد 5 /45.
(74) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل بصر، من الموالي، من كتبه: معاني القرآن، النوادر، الأضداد/ الزركلي، الاعلام، 95/7.
(75) السمين الحلبي، الدر المصون، 241/2.
(76) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، 246/4.
(77) ابن عاشور، التحرير والتنوير، 141/3.
(78) أبو السعود، ارشاد العقل السليم، 53/2.
(79) أبو حيان، البحر المحيط، 401/3.
(80) الألوسي، روح المعاني، 426/4.
(81) الألوسي، روح المعاني، 426/4.
(82) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، ولد بالكوفة، وتوفي في طريقه إلى مكة عام 207هـ، كان فقيهاً متكلماً عالماً بأيام العرب وأخبارها، من كتبه: معاني القرآن، مشكل اللغة/ الزركلي، الاعلام 145/8.
(83) الفراء، معاني القرآن، ط2، ج1، ص243.
(84) الآلوسي، روح المعاني، 416/28.

المصادر والمراجع

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: محمد أحمد الأمد، عمر بعد السلام السلامي، 1999م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1.

الجمل، سليمان بن عمر العجيلي، 1996م، الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1.

أبو حيان، محمد بن يوسف، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2001.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت. بلا طبعة.

الزركلي، خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط (15)، 2002م.

الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الريان للتراث، ط2، 1987م.

أبو السعود، محمد بن محمد مصطفى العمادي الحنفي، ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1999.

السمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، 1986م، دار القلم، دمشق ط أولى.

السهيلي، أبو القاسم ابن عبد الله الخثعمي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، دار الفكر بلا تاريخ أو مكان للطبع.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الاتقان في علوم القرآن، دار الجيل، ط1، بلا تاريخ..

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بلا طبعة.

ابن عاشور، محمد الطاهر، 1984، التحرير والتنوير في تفسير القرآن، الدار التونسية، تونس.

عضيمة، محمد الخالق، دراسات الأسلوب القرآن، دار الحديث، القاهرة، نصر، ط1.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، 1985م، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الدوحة، ط1.

العلاونة، أحمد، 1998م، ذيل الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار المنارة، ط1.

ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زيد، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط2، 1980.

القرطبي، محمد بن محمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، لبنان، بلا مكان أو تاريخ طبع.

القونوي، عصام الدين اسماعيل بن محمد الحنفي، حاشية القونوي على تفسير الامام البيضاوي، ومعه حاشية ابن التمجيد، دار الكتب العلمية، بيروت، البيان ط1، 2001.

ابن مالك، جمال الدين محمد بن عبد الله، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح. تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، بلا طبعة.

المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: محمد نديم فاضل، وفخر الدين قباوة، 1973م، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

ابن هشام، جمال الدين ابن هشام الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر ط6، 1985.

The Quranic Rhetoric in the Inter-Usage of particle *"Idh"* and *"Idha"*

Slaiman M. Al-Dqour*

ABSTRACT

This research presents one of the quranic rhetoric styles of its structure. It takes us through one of the Quranic phenomena, which is the usage of the particle *"idh"* in the position of the particle *"idha"* and Vise versa.

This study applies on certain verses to show reveal the difference it makes on rhetoric and educational semantics of the verses subject of the study.

This research concluded that this style has a number of facts, educationally, physiologically, and spiritually which are of importance to make them worthy of a thorough reading and deep discussion.

Keywords: Quranic Style, Quranic Rhetoric, Particles.

* Faculty of Shari'a, University of Jordan, Amman, Jordan. Received on 9/12/2007 and Accepted for Publication on 30/4/2009.